

الامة لتسير إلى أمام

أيها الرفيقات والرفاق^(١)

مدرسة الاعداد امل من آمال حزينا وعندما نوليها الاهتمام فاننا نتطلع الى الاجيال البعثية، التي نريدها ان تسجل تقدما في الوعي والنضال على من سبقها وان تقترب اكثر من النموذج البعثي الذي نطمح اليه والذي نلمس فعلا بانه يرتقي وينضج وان كان لا يزال يحتاج الى المزيد من التقدم ومن التعمق ومن الوضوح فنحن نشعر حتى في احلك الظروف بالثقة بالنفس وبالتفاؤل بالمستقبل لاننا اوجدنا على الارض العربية اجيالا مرتبطة بهذه الارض، ارتباط حب وايمان ومرتبطة بقضاياها المصيرية ومتشوقة الى المستقبل والى الحضارة.

لذلك لا نرتاع ولا نفرع عندما تدهمنا الاحداث وانما نتخذ منها وسائل وسبلا لمزيد من التعمق في فكرنا ومزيد من الالتصاق بقضايانا ومزيد من الجهد والنضال والتضحية في سبيل بلوغ اهدافنا.

أيها الرفاق

هذه الظروف التي نعيشها الان ظروف يشاقها المناضل وإن تبدو قاسية مؤلمة ولكن المناضل المؤمن انها يشعر بارتعاشة الحياة تخفق في قلبه وضميره وتزيل عنه الخدر واثر العمل العادي لتضعه فجأة في لجة المعركة، في صميم الشعور بالمصير المهدد فيدرك في لحظة خاطفة مقدسة كل معاني القوة كمناضل وكل الدوافع العميقة التي كونه ودفعته الى طريق النضال والثورة فيلتقي مرة جديدة بنفسه، بمبادئه وقدره.

(١) لقاء مع طلبة الدورة الخاصة التاسعة والسادسة عشرة الاعتيادية لمدرسة الاعداد الحزبي في ٣ / ١٢ / ١٩٧٧.

لا أريد ان ابتعد عن الموضوع الذي يفرض نفسه علينا في هذه الاوقات ، الموضوع القومي المصري ولكنني أجد علاقة وثيقة بين معالجة هذا الظرف القومي المصري وبين تسليط الضوء على وجودنا كبعثيين ، كحركة تاريخية قطعت اشواطاً من الزمن ومن النضال واثبتت وجودها وقدرتها على البقاء والاستمرار وصمودها للنكبات والتكسات سواء أكانت من داخلها او خارجها، فليس لغوا ولا خروجاً عن الموضوع ان نذكر ذلك ونذكر أنفسنا به في مثل هذه الظروف بان حركتنا بلغت حداً من التكون العضوي الحي السليم الذي يعزز ثقتنا بانفسنا ويعطينا شعوراً قوياً بالواجب والمسؤولية وانا اجدر من تتطلع اليه الامة في الظروف العصيبة وأحق من يتقدم الصفوف للاضطلاع بالواجبات القومية لاعطاء القدوة ولارضاء الضمير وللتقدم خطوات جديدة على طريق الاهداف البعيدة .

أيها الرفيقات والرفاق

هل هذا الظرف يحمل جديداً لم نكن نعرفه ام انه نتيجة منطقية لسلسلة طويلة من الظروف ومن الاحداث ومن السياسات والممارسات والمؤامرات التي سبقته واعدت له؟ نعرف جميعاً بانه هو نتيجة لكل ما سبقه منذ عشر سنوات اذا اردنا الاختصار ونستطيع ان نرجع بذلك الى عشرات من السنين ، ولكن فيه عنصر جدة . بدليل انه احدث من الوعي واليقظة في الجماهير العربية وفتاتها الواعية واحداث هزة وجدانية وحرك الشعور بالمسؤولية بدرجة وبشكل يختلفان جدا عن السنين السابقة والظروف السابقة فهو بهذا المعنى حدث جديد وفرصة ثمينة يدرك المناضل الواعي بحسه ويتجربته النضالية انه يجب ان يستغل ويستثمر الى ابعد الحدود وانه يحمل امالاً وامكانات ايجابية كبيرة وانه بفعل الارادة الواعية ، بفعل الارادة النضالية يمكن ان يحول الى عكس ما قصده الاعداء العملاء الخونة الذين تجرأوا واقدموا عليه مستهينين بكرامة الشعب وقدرة الشعب . هذه هي العبرة من هذا الظرف وما فيه من جدة .

أيها الرفاق

اننا في كل منعطف في طريق نضالنا القومي نعود الى مبادئنا والى فكرتنا نسترشد بها ونحلل الظروف والاحداث على ضوءها وهدايتها ، فكيف يمكن ان تصل الامور الى هذا الحد؟ انها لصدمة تلك التي احدثتها زيارة السادات لزيارة العار فكيف وصلت

الامور الى هذا الحد؟ اننا لو اخذنا السنوات العشر الاخيرة فحسب ابتداء من حرب حزيران الى الآن، فماذا نجد؟ نجد أن ماتم مؤخراً هو نتيجة هزيمة، نتيجة هزيمة حزيران، هذه النتيجة التي لم يجرؤ أحد في اعقاب حرب حزيران أن يصل اليها فانها تتم وتحصل بعد عشر سنوات وبعد حدث كبير تم خلال هذه السنوات العشر هو حرب تشرين . . حرب تشرين التي نعرف بانها كانت حدثاً عربياً كبيراً، حدثاً عالمياً، حدثاً عربياً اعاد الى الامة ثققتها بنفسها والى الانسان العربي ثقته بنفسه وحدثاً عالمياً لان حرب تشرين غطت على كل الدعايات السلبية المغرضة التي لفقها الاستعمار والصهيونية زمناً طويلاً لطمس حقيقة الامة العربية وتشويه سمعتها فكانت حرب تشرين تمزيقاً لهذه الحجب المصطنعة وإيداناً ببروز قوة عالمية على المسرح الدولي وفي حضارة العصر هي الامة العربية، في طورها المتجدد . . هذه الحرب نعرف الان معرفة تكاد تكون أو تصبح يقيناً كاملاً بانها كانت مدبرة ولم يكن الاعداء بعيدين عن تدبيرها ولكنهم لم يكونوا يتوقعون كل النتائج التي اثمرتها تلك كانت المعجزة، معجزة الشعب العربي بان يتغلب على تخطيط الاعداء ومؤامراتهم ويفاجئهم ويفاجيء نفسه بالقدرات الخارقة عندما يثور لكرامته وعندما يستشعر دوره في الحياة ورسالته الانسانية عندها كان على الاعداء وعملائهم ان يراجعوا خططهم وان يؤجلوا ما كانوا ينوون عمله في اعقاب حرب تشرين الى هذا الطرف الذي نحن فيه، اربع سنوات قضوها في تبيد او محاولة تبيد ايجابيات تلك الحرب مع الاحتفاظ بسلبياتها والحرص على تلك السلبيات .

حوادث لبنان، عامان كاملان من الحرب الاهلية ومن الخراب والتدمير في لبنان لا يمكن ان يفهم ذلك الا بانه تنفيذ لتلك الخطة خطة القضاء على ايجابيات حرب تشرين . . القضاء اذا أمكن على تلك الثقة بالنفس التي اكتسبها او جردها الشعب العربي من خلال خوضه معارك تشرين ولكن الاحتفاظ بالسلبيات، وما هي تلك السلبيات؟ هي روح التخدير ذريعة بيد الحكام المتآمرين الذين يسعون الى التسوية والى التفريط والى الاستسلام وبان يتخذوا من حرب تشرين واسطة لدغدغة الشعور السطحي عند الجيوش وعند الجماهير لانهم حققوا نصراً . وانهم اذا مدوا يدهم الى الاعداء فانها هي يد المنتصر . . وانهم وفوا الواجب واستردوا الحقوق فكل هذا لمحاول تغطية المؤامرة الاستسلامية التي هي من الكبر والضحامة بدرجة ان لا شيء

يستطيع تغطيتها وتمويهها والتعتيم عليها فالامة تسير الى امام وجماهيرها تزداد وعيا وتمرسا يوما بعد يوم وطلاتها المثقفة تتقدم في المعرفة وفي العلم وفي الوعي والنظرة فكيف يمكن ان يغطوا شيئاً أن يزيفوا حقيقة كان شعبنا يدركها قبل خمسين عاما واكثر منذ أن طرحت قضية الصهيونية واطماعها في ارضنا كان جواب الشعب العربي بالاجماع وفي كل قطر الرفض الكامل، الرفض المطلق فكيف يمكن ان يطمعوا في انطلاء الخدعة على الامة العربية وجماهيرها الواعية وطبقاتها المثقفة وحركاتها المناضلة بعد أن بلغت مابلغته اليوم من وعي وتقدم، لكنهم رغم ذلك ماضون في المؤامرة مستهينون بكل هذه المقومات التي عددناها، ذلك لانهم ينظرون الى واقع مصطنع يجمد القدرات ويعزل بعضها عن بعض ويمنع توحدها وتفاعلها ويمنع ان يكون لهذا الوعي المتقدم في الامة العربية ترجمة عملية وان يكون لهذا التقدم في شتى الميادين الاقتصادية والعسكرية والثقافية حصيلة فعالة تخيف الاعداء وترهب العملاء وتردعهم، هذا الواقع المصطنع يكفي في نظر الاستعمار والصهيونية والحكومات المتآمرة الضالعة في مؤامرة الاستسلام ان يبنوا عليه آمالهم واستغلالهم لفترات ولسنوات للمستقبل لان طبيعة العدوان والاستعمار وطبيعة الاستغلال في الحكومات العميلة والمتآمرة انهم لا يبنون المستقبل البعيد البناء الازلي الابدي . . لا ينطلقون من مبادئ ولا يؤمنون بقيم وانما يسعون الى اشباع شهوات والى استفادة من فرص لاستغلال ثروات الشعوب ولكي يؤخروا نهضة هذه الشعوب ويحولوا دون وحدتها اكثر ما يستطيعون الى ذلك سبيلا . اننا أيها الرفاق مطالبون بعمل مزدوج، مطالبون بتعبئة الافكار والنفوس وحشد الامكانات للتصدي للمؤامرة الكبرى بعد أن سقط عنها آخر ستار، واننا في الوقت نفسه مطالبون بان نلقي نظرة تحليلية على هذا الواقع العربي الذي اعتبرناه مصطنعا مفروضا لا يعبر عن حقيقة الامة وعن حقيقة امكاناتها ولا عن حقيقة ارادتها ولكنه لن يزول من نفسه اذا لم ندرسه ونحلله ونكتشف أسبابه الحقيقية لنتمكن من تغييره واخضاعه لارادة التحرر والتقدم في امتنا .

ان واقعنا أيها الرفاق تبرز فيه اول ماتبرز علة التجزئة التي تهدر القسم الاكبر من جهود امتنا ومن قدرتها لان النظرة العفوية البسيطة تظهر ان العرب اليوم قادرون على المساهمة مساهمة جدية في بناء العالم وحضارة العالم، فالاصطناع واضح . . اصطناع

الاضواء . . زيف هذه الاوضاع وكونها مفروضة . وجزء من هذا الاصطناع هو نتيجة خطأ في التفكير، خطأ في التصور وسطحية وتقليد لافكار الغير . هذه الانظمة التي تسجن الجماهير بحجة التقدمية وبحجة البناء الداخلي ، أية قيمة لهذا السبب وأي معنى لهذه التقدمية اذا توصل الاعداء وعملاؤهم بان ينفذوا المؤامرة ان يفرضوا السلام الاسرائيلي على الامة العربية الذي يعني ببسيط العبارة مزيدا من التجزئة والتفرقة وتمزيق الامة العربية ليس الى دول ودويلات فحسب بل الى عصبيات وطوائف وعشائر واقليميات متناحرة ويعني بما يعنيه ضياع المكتسبات ، ضياع الاستقلال ، ضياع الثقافة الاستقلالية ، دخول ورجوع الثقافة الاستعمارية التي ظهرت بعض معالمها في الطبقة التي يستند اليها السادات في مصر هذه الطبقة التي لم تعد تخفي افكارها أو تخجل منها فهي قد تحللت من القيم ومن الكرامة الوطنية والقومية ومن الحرص على الارض وعلى الشعب وعلى المواطن ولا تعرف دينا غير دين النفع الشخصي ولو كان بالعمالة والتبعية حتى لاسرائيل . .

أيها الرفاق

الطبقية هي حقيقة وحقيقة قوية لم ننكرها ولم نتجاهلها وان كنا اصطدنا منذ بداية حركتنا بمفاهيمها المنحرفة والخاطئة فاردنا ان نصححها ونضعها في مكانها الطبيعي . وكشفنا عن حقيقة القومية التي هي ليست نقيض الطبقة وانما ضد ذلك المفهوم الخاطيء الذي كان يلغي القومية بحجة الطبقة . . وأية طبقة هي التي تقبل اليوم بالاستسلام في قطرنا العربي الكبير مصر ، أية طبقة تقبل بان تستسلم لاسرائيل وتستسلم للامبريالية الامريكية والغربية وتستسلم وتمشي في ركاب الرجعية وأشد ما في واقعا العربي من تخلف هذه الطبقة التي فيها الكتاب والادباء ، هل هي الطبقة التي كانت حاكمة في عهد فاروق طبقة الاقطاع والرأسمالية ام انها طبقة نمت وترعرعت في ظل الثورة . هذا هو الشيء الخطير . . ماكان بمقدور السادات أن يعيد بقايا الاقطاع وبقايا العهد الملكي لو لم يكن ثمة واقع قوي هو تلك الطبقة المسلمة لمقدرات الامور للدولة وللمجتمع والتي سارت في ركاب الثورة دون قناعة ولا اقتناع وكانت مثال الانتهازية وركبت الموجة حتى اذا اصيبت الثورة بنكسة كانت هذه الطبقة مهيأة للخيانة ، مهيأة للارتداد ، مهيأة للتعامل مع اعداء الثورة واعداء البلاد حفاظا على

امتيازاتها وعلى ما جمعت من اموال ومنافع ، هذا شيء خطير ينه الى حقيقة يفترض فينا أيها الرفاق ان نكون اكثر الجركات تنبها فيها وقدرة على تفاديها، هذه الحقيقة هي أن الثورات اذا لم تبني بناء متينا على الايمان بالمبادئ وعلى الوعي الواضح العميق المنتشر على اوسع نطاق، اذا لم تكن ادوات الثورة من صلبها، ومن دمها ولحمها اذا لم تتجلى بهذه الادوات في كل وقت وروح التجرد والتفاني والبعد عن الاستغلال والامتناع والانصهار في الخدمة العامة لقضية كبرى ولقضية مقدسة، اذا تساهلنا في المقاييس فان الحاضر قد يهيم لمستقبل مناقض له ليس من طبيعته وانما من طبيعة مضادة . وهذا ما يفرق الثورات التي قامت على افراد قلائل ولم تكن تؤمن بالجمهير والثورات التي تبنيها الحركات العقائدية التي تبني الانسان بنفس الوقت الذي تبني فيه الدولة والمجتمع .

أيها الرفاق

ان حسابات حكام هذه الطبقة التي اعتمتها مصالحها وقطعت جذورها عن الارض وعن الشعب هؤلاء يبنون حساباتهم على انهم يستطيعون عزل مصر عن بقية اقطار الوطن العربي وان يديروا ظهرهم لهذا التيار القومي الثوري الذي يرفض استسلامهم ويقاومونه وان يمشوا في ركاب الصهيونية والغرب مؤملين بمساعدات يخدعون بها الجماهير لفترة من الزمن وقد لا يحصلون عليها . هذه المحاولة تؤمن بانها باطلة وفاشلة وان مصر العربية كانت دوما عربية منذ اقدم العصور والتاريخ يشهد بذلك، فهي التي انقذت العروبة من هجمات شبيهة بهجمة الصهيونية والامبريالية في هذا العصر، هجمات الصليبيين والتتار وغيرهم . . . ولكنها ايضا في هذا العصر حتى في ظل الحكم الاستعماري والثقافة الاستعمارية لم يتمكن الاستعمار من فصلها عن الجسم العربي، فكيف بعد ان اصبح لكل بيت في مصر شهيد أو أكثر في معارك القومية العربية، كيف تنجح مؤامرة العزل بعد ان نشأت اجيال جديدة في جو الثقافة القومية العربية، الثقافة الثورية . ان ايماننا لا يتزعزع بعروبة مصر وينمو وتعمق هذه العروبة يوما بعد يوم . ولقد شاهدتم وسمعتم تلك الاصوات الحرة . والاقلام الحرة التي استنكرت وقاومت ما اقدم عليه السادات، وانه أيها الرفاق ومن دواعي الامل الكبير ان نلمس ذلك التطور في السنوات الاخيرة الذي بنته واسهمت فيه القيادة

السياسية لحزبنا في هذا القطر لارجاع الجسور التي تهدمت لفترة ولخلق الاجواء الايجابية ولانفتاح الازهان والقلوب لصوت الحزب ولهذه الاخوة القومية التي توثقت اكثر من اي وقت مضى بين مناضلي حزبنا وبين افواج من المناضلين والمفكرين في مصر العربية وهذا الايمان الذي بدأ ينمو في قلوب اخوتنا في مصر بأن العراق . . . عراق البعث هو المؤهل لان يحمل الامانة وان يرد كيد المؤامرة وان يقود نضال المواجهة للاستسلام وللمردة هذا كسب كبير وثروة تعزز ثقتنا بحزبنا وبامتنا وبمستقبل الحزب والامة..

أيها الرفاق

ان هذه المخطط الاستعماري الصهيوني الرجعي ليس بالشيء الهين ولا بالشيء المرتجل . انه عصارة التفوق العلمي الذي يتمتع به الغرب الاستعماري والصهيونية العالمية وهو قديم وهو متجدد ايضا يستوعب كل ماتحققه الامة العربية من تقدم في الوعي والقدرة لكي يأتي بالاسلحة المتفوقة على هذا الوعي وتلك القدرة فيوقف نموها وتقدمها ويضع الحواجز والعراقيل في وجهها في طريق تصميمها العميق على الوحدة . هذا المخطط الاستعماري الصهيوني الذي تلتقي الرجعية العربية معه بدافع الحفاظ على المصالح الخاصة . . هذا لا يمكن ان يهدم في يوم لا يمكن ان ينتهي في هبة جماهيرية او صحوة فكرية . إنه يتطلب العمل الدائب الطويل ولكن اهمية هذا الظرف هو انه يقدم فرصة نادرة لكي نضع في وجه هذا المخطط الرهيب القوة المتكافئة معه وليس غير قوة الجماهير العربية الواسعة التي تضم الوطن الكبير بكامله ليس غير هذه القوة بمستطاعة ان تتكافأ مع المخطط المعادي ولو اننا نعرف بان الطريق طويلة وشاقة وأن معارك كثيرة تنتظرنا وألما كثيرة سنواجهها ونتحملها لكن المطلوب هو البداية الصحيحة التي كدنا أو كاد العرب ينسونها في السنوات الاخيرة، هو التحرك الجماهيري، التحرك الشعبي، الخروج من الاسوار، من اسوار الاقليمية لبدء مرحلة جديدة لا تكون تاريخية الا بمقدار ماتكون شعبية جماهيرية . عزلة الشعب والجماهير هي وراء كل ماشاهدناه من ترد في الواقع العربي ومن ركود ومن فقر دم . الروح الشعبية ايها الرفاق هي التي تمنح القيادات الثقة بالنفس والثقة بالمستقبل وترجع اليهم الحس السليم والنظر المبدئي والايمان بالقيم . . ترون ان الذين يمشون في طريق التفريط

والخيانة هم من نوع مريض شاذ وكأنهم غرباء عن تربة هذا الوطن والشعب. ترون هذا النموذج المريض الشاذ الذي هو السادات يطلب ويستعطي اعجاب الغرب به يريد ان يكون موضوع اعجاب الاعداء: الغرب والصهيونية، يريد ان تطبل بأسمه ابواقهم ودعاياتهم هذه ثمرة الثقافة الاستعمارية والتربية الاستعمارية. . العقدة أمام المستعمر، وإمام الغرب، فما ان يتيسر لواحد من هذه النوعية ان يصل الى السلطة حتى تظهر عقده النفسية ويكشف عنها. هذا النموذج الذي يجب ان يتخذ عبرة للانحراف في مجتمعنا. لان السادات يسمي استسلامه وزياراته الحقيرة يسميها تحضرا وعنوانا للتحضر. إذا كان هذا مفهوم الحضارة الذي يقدمونه لنا فمن يمشي مع هذه الحضارة مع هذا المفهوم؟ ليس الاقطار العربية التي قطعت اشواطاً في التقدم وانما تمشي المجتمعات المتخلفة الرجعية التي يعتمد السادات على مؤازرتها والتي لا ذنب للمواطنين فيها في تخلفهم وانما الذنب للحكام الذين خنقوا اصواتهم وتركوهم في الجهل والتخلف.

أيها الرفاق والرفيقات

ان للحزب دورا كبيرا لم نكن نجهله او نتجاهله، ولكن اليوم - يطالبنا به الكثيرون من خارج الحزب، الجماهير العربية وجماهير المثقفين العرب تتابع الحزب في هذا القطر وفي كل مكان لان يتقدم الى هذا الدور الذي أهل له واهله نضاله الطويل له واننا لا نستطيع ان نقوم بهذا الدور بتفكير سلبي دفاعي باننا لسنا مع الخونة والمستسلمين او نرفض الاستسلام والخيانة وانما نستطيع ان نضطلع بالدور التاريخي عندما نضع الخطة الايجابية البديلة البناءة التي نقول للشعب العربي في كل مكان هذا البديل، هذا هو المستقبل وليس بلوغه سهلا ولكن ليس الشعب العربي بعاجز عن تقديم الجهود والتضحيات لبلوغ هذا الهدف واننا بحاجة الى اكثر من التفاؤل.

أيها الرفاق

اننا بحاجة الى الايمان بامتنا والايمان بحزبنا والايمان بالانسان العربي، والسلام عليكم...

٣ كانون الاول ١٩٧٧